تحفيز الشركات لاستيعاب المخاطر الاقتصادية الناشئة بعد الزلزال

سورية مثالا

د. سامر مظهر قنطقجي

انتهى الزلزال ومضى عليه أكثر من ١٢٠ يوما؛ فلماذا التحفيز؟

يُعدُّ السعي نحو التعافي الاقتصادي مطلبا لازما فالحياة لابد أن تستمر. والتهديدات مازالت قائمة؛ لأن سوريا تقع على جرف أو رصيف قاري، و الزلازل غالبًا ما تحدث في البلاد التي تقع على جرف قاري نتيجة تحرك الصفائح التكتونية المتعددة (الشكل ١ و ٢).

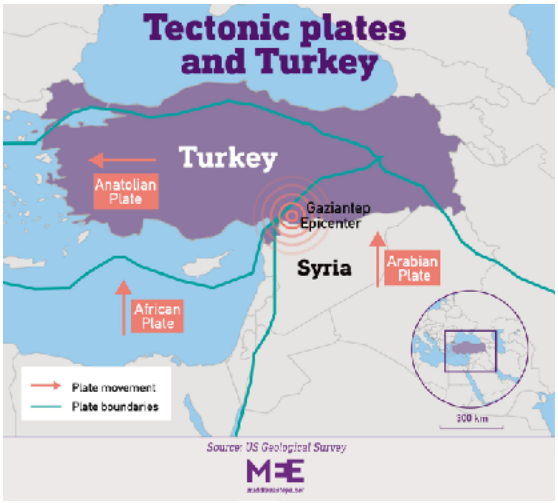

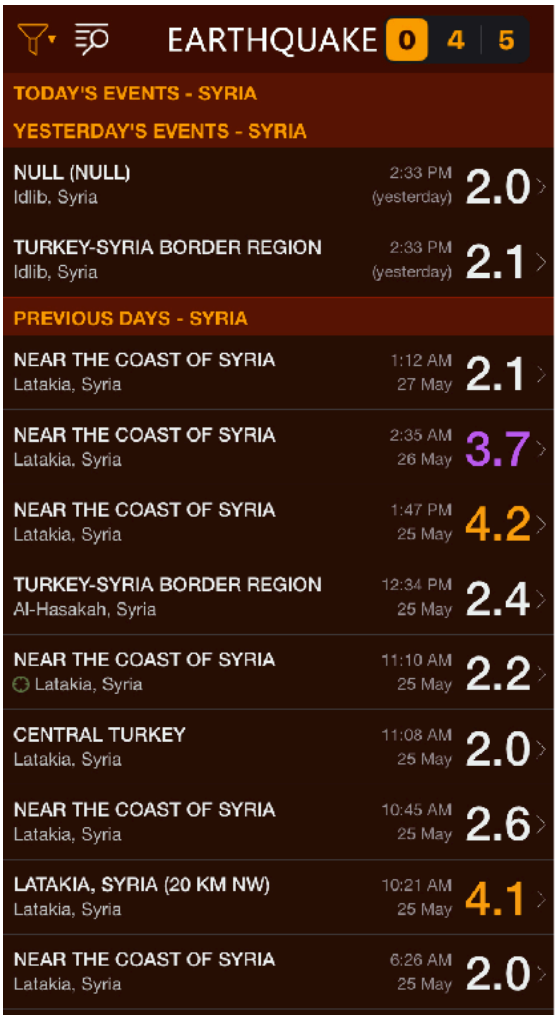

الشكل ٢: قائمة بالزلازل التي حدثت أيام ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ أيار ٢٠٢٣

المصدر: تطبيق Earthquack

المخاطر والفرص

توجب إدارة المخاطر تحديد المخاطر المحتملة ورسم السيناريوهات اللازمة لمجابهة كل احتمال متوقع.

فما هي المخاطر المحتملة لتكرار حدوث زلازل مستقبلا؟

وما هي فرص التحكم في ضبط آثارها إن وقعت؟.

أولا – المخاطر:

أضرار الكوارث الطبيعية (الزلزال مثالا):

غالبًا ما تتسبب الكوارث الطبيعية بإحداث آثار مؤلمة؛ مثل فقدان وموت السكان، والأضرار التي لحقت بالمرافق العامة والبنية التحتية، والأضرار التي لحقت بمرافق الإنتاج وموارده التي تؤدي بعد ذلك إلى مشاكل اقتصادية، سواء بالنسبة للأفراد، أو كيان اقتصادي لنطاق الدولة.

لذلك يجب متابعة سلسلة الجهود لخفض الأضرار بغية تقليل الخسائر، فزلزال بقوة ٥.٩ على مقياس ريختر يعادل قوة متفجرة للطاقة بمقدار ٤٠ كيلو طن من TNT أو ضعف انفجار قنبلة هيروشيما.

تقديرات البنك الدولي[1] لأضرار زلزال سورية ٢٠٢٢:

بلغت أضرار الزلزال الذي ضرب سوريا ٥.١ مليار دولار، بما يعادل ١٠٪ من الناتج المحلي الإجمالي. وشملت الأضرار أربع محافظات هي اللاذقية وادلب وحماة وحلب، إضافة للمناطق الحدودية، ويعيش فيها نحو ١٠ مليون نسمة، تتوزع تلك الأضرار إلى:

- أضرار مباشرة للمباني السكنية حوالي ٤٨.٥٪ ما يعادل ٢,٥ مليار دولار.
- أضرار في المباني غير السكنية (مثل المنشآت الصحية والمدارس والمباني الحكومية ومباني القطاع الخاص) نسبة ٣٣.٥٪ أو ٩.٧ مليارات دولار.
- أضرار لحقت بالبنية التحتية ١٨٪ من إجمالي الأضرار بحدود ٠.٩ مليار دولار. شملت النقل والبنية التحتية الحيوية للكهرباء والمياه وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

أضرار الموارد البشرية التي يخلفها الزلزال على المناطق التي يضربها:

- موت عشرات الآلاف من الناس، وكذلك نفوق الكثير من حيواناتهم.
- وقوع أعداد كبيرة من الجرحى، وإصابة جزء منهم بعجز كلي أو جزئي مما يستنزف البنية الصحية ومواردها.
- نزوح سكان المناطق المتضررة إلى مناطق أخرى، مما يهدد بتغيير البنى السكانية ويشتت شملها ويضعف قوتها.

الأضرار المادية التي يخلفها الزلزال على المناطق التي يضربها:

- تعطل المرافق العامة.
- تدمير المباني السكنية وغير السكنية كليا أو جزئيا.
- تعطل المعامل والمصانع الإنتاجية.

[1] https://www.albankaldawli.org/ar/news/press-release/2023/02/28/earthquake-direct-damage-in-syria-estimated-at-5-1-billion-in-areas-already-severely-ravaged-by-long-conflict-and-displa

- تدهور سلاسل التوريد للمناطق المنكوبة.

سلسة الأضرار الاقتصادية للزلازل:

- انخفاض الطاقة البشرية العاملة، بسبب موت بعضها وجرح آخرين، ونزوح البعض.
- انخفاض الناتج المحلي GDP بنسب مئوية مؤثرة على الناتج المحلي الإجمالي.
- هبوط معدل النمو الاقتصادي لتوقف المعامل والشركات والأعمال عموما كالسياحة والصناعة والتجارة وغيرها. وهذا معناه فقدان الوظائف وخلخلة إجمالي أعداد القوى العاملة، وصولا إلى بطالة بنسب مؤثرة في المناطق التي ضربها الزلزال وكذلك للمناطق التي نزح إليها السكان حيث يزاحمون العمالة هناك.
- ارتفاع معدلات التضخم وتوجه الأسعار نحو الارتفاع.
- الدخول في الحلقة المفرغة للفقر.

ثانيا – الفرص:

ضرورة التعامل مع فترة الكوارث على أنها إدارة مشروعات وإدارة أزمة بالوقت نفسه:

- كسب طلبات ناشئة سببها الزلزال: هناك طلبات كبيرة تنشأ عند حصول الكوارث ويجب تلبيتها بسرعة لإنقاذ الأرواح والتخفيف عن الآخرين مصابهم، ويجب على الشركات كسب هذه الفرص وتلبية هذه الطلبات السريعة التنفيذ وتحقيق المكاسب بسببها.
- مرونة تحويل خطوط الإنتاج وتعديلها لتلبية الاحتياجات الطارئة: وهذا يهيئ المنشآت لفرص كسب مناقصات عالمية تطرحها مؤسسات دولية تقدم الإغاثة.
- تخطي عناصر الجودة مرحليًا: فالطلبات الطارئة يجب تلبيتها دون النظر لمواصفات تعتبر في العادة لازمة ولا يُستغنى عنها.

استيعاب الجزء البيئي الذي تُمارس فيه الأعمال:

- بما أن حدوث الزلازل في سورية أمر محتمل، فقد رفضت ذات مرة مقترحا لغرفة تجارة حماة في تسعينيات القرن الماضي لإنشاء صندوق للتأمين التقاعدي على مستوى أعضاء الغرفة، لأن مخاطر الزلازل خطر قائم بسبب الموقع الجغرافي أولا، ولحاجة التأمين لأعداد كبيرة، وهذا غير متوفر حتى على مستوى أعضاء غرف تجارة وصناعة سورية جميعها.
- خذلت مؤسسة التأمينات الاجتماعية أعضاءها بعدما عجزت عن تفادي مخاطر التضخم ومخاطر سعر الصرف، فصارت الأموال المجمعة لديها ليست ذات معنى، فلا تعويض نهاية خدمة ولا راتب تقاعدي ولا تعويض وفاة؛ قادر على الإيفاء بمتطلبات مشتركي التأمينات الاجتماعية.

بينما أموال هكذا صناديق في العالم تقتحم الاستثمارات الصعبة وتحقق لدولها وأعضاء الصناديق المنافع والمزايا.

وتُعدّ تعويضات التأمينات الاجتماعية جزءا مهما من الأجور، بينما يتهرب أرباب العمل من الاشتراك إلا بالحد الأدنى ولو اقتنعوا بجدوى هذه المؤسسة للجؤوا إليها بوصفها مؤسسة تأمين تحمل عنهم عبء تكاليف عمالهم لفترات العمر الباقية ولسعوا إليها حثيثا.

وقد ارتكبت النقابات والتجمعات المهنية الخطأ نفسه ظنًا منها أنه تقدم منتجًا يمنحها مزايا انتخابية حسب زعم بعض أعضائها، وحقيقة الأمر أنه كان ضياعا لأموال الناس؛ لابتعاد النظرة العلمية، فأغلب صناديق تعويضات نهاية الخدمة (وفاة – راتب تقاعدي)، تعاني من العجز، وإذا عوّضت مشتركيها فإن تعويضاتها المدفوعة لهم فاقدة للقيمة الحقيقية لها قياساً على ما تم دفعه.

كسب ولاء المجتمع المحلي:

خلال أزمة الزلزال في حماة:

- ✳ خسر مركز علاج نفسي فرصة إثبات نفسه من خلال تركيزه على التفاوض لترويج اسم مركزه، وتخلى بعض أعضائه عن دورهم الإنساني، فمر الوقت والنقاش لم ينته.

- خسر أغلب سماسرة البيوت في محاولة بعضهم استغلال الحاجة لاستئجار البيوت في رفع الأسعار وزيادة العمولات وتقديم البيوت غير الصالحة للسكن. بينما كسب البعض إنسانيتهم بتقديم بيوتهم مجانا أو شبه المجان.
- كسبت جمعية الأمل في احتواء جزء مهم من الأزمة الإنسانية رغم أنها تعنى بأمراض السرطان وبعض أمراض الإعاقة لكنها أقدمت على تبني جزء من الحلول الإنسانية الاسعافية.

وبعد انتهاء استيعاب الصدمة، بدأ مركز تمكين الشباب احتواء أزمة اليد العاملة بتأمين المساعدة المهنية معنويا وماديا منعًا لتعاظم هذه المشكلة وصعوبة حلّها لاحقًا.

تخطي نقاط ضعف الشركات:

يمكن للشركات أن تتخطى بعض الآثار الاقتصادية للزلزال فلا تسارع في طرد موظفيها وعمالها، ولا تتسرع بإغلاق أبوابها وتنسحب من السوق. ومن تلك التقنيات:

- تحديد نقطة الإغلاق: لا يجب أن تغلق الشركات أبوابها إلا عندما تنخفض إيراداتها النقدية عن مصاريفها التشغيلية المتغيرة.
- السيولة وكفاية رأس المال: يجب على الشركات البحث عن حلول للحفاظ على سيولتها في الحد الأدنى لمقابلة الحالات الطارئة فقط، وترتيب أولوياتها ومن ثم ترتيب أصولها حسب سيولتها، والتحول نحو البيع النقدي والابتعاد عن البيع الآجل.
- اضطراب سلاسل التوريد عموما وللمناطق المنكوبة خصوصا، وضرورة توافر مخزون استراتيجي مناسب لدى الحكومة ولدى محافظاتها وكذلك لدى الشركات كل حسب مستواه. ويجب إيجاد حلول للتوصيل إلى مركز الحدث، فتركيا استخدمت سبخات ماء للتزود بالماء عندما اشتعلت النار في غاباتها كانت قد صممتها تحسبا لذلك، وروسيا زودت تركيا بطائرة قامت بإعادة البث لشبكات الجوال وبقيت في الأجواء للتمكن من استقبال مزيد من النداءات لإسعافها. كما يمكن استخدام الدراجات النارية الخفيفة للتنقل والنقل وكذلك استخدام طائرات الدروز في التوصيل كما تفعل أمازون وغيرها من الشركات.

- التضخم وارتفاع الأسعار: وهذا خطر موجود في العالم إثر أزمة كورونا والحرب الروسية الأوكرانية، وتزداد حدته إثر الزلزال وخاصة في منطقة حدوثه والمناطق المجاورة.
- تكلفة التضحية: تتحمل المنشآت بعض التكاليف التي تثقل كاهلها تجنبًا لخسارة ما لا يمكن تعويضه، وأهمها اليد العاملة الخبيرة. وبدل طرد العمالة في الأزمات يمكن لأرباب العمل إعطاؤهم من زكاة أموالهم ليحافظوا على شركاتهم وعمالهم وأسرهم ولرفد عجلة الاقتصاد بما تحتاجه ليبقى الإنفاق كزيت الدوران ووقوده. وهذه ميزة تضفيها الشريعة الإسلامية على أتباعها ويجب استغلالها.

استعراض تجارب: اليابان واندونيسا وتركيا:

سلسلة الجهود لتخفيف تأثير مخاطر الكوارث:

لا يوجد بلد مستعد مثل اليابان في مواجهة الكوارث فمتوسط صدمات الزلازل يبلغ عددها ١٥٠٠ سنويا. لذلك تخصص اليابان موازنة تتجاوز ٢ مليار دولار لتخفيف الكوارث والتأهب لها سنويا.

وتعتبر جهود تخفيف تأثير مخاطر الكوارث جهوداً ضرورية ليكون الناس مستعدين دوما لاحتمال حصول كوارث يمكن التعايش معها. فالتنمية البدنية والتمرين على سيناريوهات التحرك والحركة خلال فترة الكارثة مهم جدا، ويقوم الدفاع المدني عادة في تنفيذ مثل هذه السيناريوهات باستمرار. كما أن زيادة الوعي أمر ضروري لتبقى الذاكرة في وضع نشط فتنبه صاحبها للتصرف والسلوك الصحيح عند الكارثة التي يكون حدوثها مفاجئ. وكل ذلك يزيد من القدرة على مواجهة الكارثة.

- الهدف الرئيس من التخفيف: هو تقليل خطر الوفاة والحد من إصابة السكان.

✳ الهدف الثانوي من التخفيف: هو تقليل الضرر والخسائر الاقتصادية التي حدثت نتيجة لكوارث البنية التحتية للقطاع العام وتقليل خسائر القطاع الخاص إلى الحد الذي يمكّن من التأثير على المجتمع.

وتشمل استراتيجية التخفيف:

تعظيم القيمة الاقتصادية، واتخاذ التدابير الفنية اللازمة، والتخطيط المكاني ليعرف الجميع نقاط قوة المكان ونقاط ضعفه، وكذلك المدخلات الاجتماعية التي يتكون منها المجتمع المحلي، والإدارة الفعالة والحازمة؛ كل ذلك بغية إنتاج التخفيف الفعال للكوارث.

لخص NATO TADA خبير الوقاية من الكوارث من وكالة المؤسسة الدولية اليابانية الإجراءات بالآتي:

🇯🇵 تحسين تقدير آثار الكارثة المحتملة ثم صياغة قانون يستهدف تقليل خطر الضحايا خلال السنوات العشر القادمة.

🇯🇵 استهداف إشادة منازل مقاومة للزلزال في جميع أنحاء اليابان بنسبة ٩٠٪ بحلول عام ٢٠٢٠.

🇯🇵 نقل المباني الحيوية إلى أرض أعلى من أجل تجنب إمكانية وجود تسونامي وإنشاء ملاجئ، كأبراج بارتفاع ٢٢ مترا تتسع لأكثر من ٢٣٠ شخصاً.

🇯🇵 التنشئة الاجتماعية للاستجابة للكوارث للمجتمع المستهدف ولفترة طويلة ليكون الناس على دراية بالكارثة المحتملة.

🇯🇵 جمع بيانات الأسر وخاصة التي فيها من ذوي الإعاقة، وعدد الأشخاص الذين يمكن مساعدتهم بأقرب طريق.

أما إندونيسيا كدولة عرضة للزلازل والتسونامي فنظام تخفيف الكوارث فيها شمل جهود الوقاية التالية:

🇲🇩 تحسين استراتيجيات الوعي العام لتطوير مشاركة المجتمع في تنفيذ الوقاية من الكوارث والتخفيف منها.

🇲🇩 تطوير الأبحاث التطبيقية مع إطار منظم لزيادة نسب التكلفة والنظر دوما نحو عملية تكييف المعرفة الأصلية في المجتمع.

🇲🇩 الإدارة المكانية وإدارة الأراضي في معظم المجالات ذات الأولوية الوطنية بناءً على خطة الإدارة لموارد المياه والأراضي والغابات وفقًا لنتائج دراسات مخاطر الكوارث والدراسات البيئية الاستراتيجية الإقليمية.

أما تركيا كدولة عرضة للزلازل فنظام تخفيف الكوارث فيها شمل جهوداً إسعافية أكثر منها وقائية كالتالي:

🇹🇷 أُرسل مبلغ ١٠٠ مليار ليرة إلى المنطقة المنكوبة لاستخدامها في المدن المتضررة.

🇹🇷 أُرسل ٧.٥ مليار ليرة إلى منطقة الكارثة لتلبية احتياجات وزارة الصحة من الأدوية والمعدات الطبية.

🇹🇷 تلبية احتياجات الوقود لمن أرادوا مغادرة المنطقة.

🇹🇷 تحويل مساعدات لحسابات المتضررين بقيمة ٥ آلاف ليرة لأصحاب المنازل و ٣ آلاف للمستأجرين.

🇹🇷 مساعدات نقدية بقيمة ١٠٠ ألف ليرة لتلبية الاحتياجات العاجلة لأقرباء المواطنين الذين فقدوا أرواحهم.

🇹🇷 تبرعت شركات كبرى ومصارف، بينها بنك زراعات الحكومي الذي تبرع بمليار دولار.

🇹🇷 دعم الأجور النقدية، وحَظر تسريح العمال في منطقة الزلزال.، وتأخير الالتزامات الضريبية.

لمشاهدة الفيديو : رابط

التهديدات والحلول :

أولا – التهديدات :

- الهجرة الداخلية (النزوح) على مستوى الأحياء والمدن مما يخلخل تركيبتها السكانية وتتسبب بتزاحم الآخرين في مكاسبهم وتشاركهم بالبنى التحتية .
- الهجرة الخارجية التي تستنزف الخبرات المحلية والتي تجذبها مغريات الدول المتقدمة كألمانيا، وتطردها العوامل المحلية كضعف الأجور وارتفاع الأسعار والخدمة الإلزامية .
- قانون العمل الموحد الحالي الذي يحمي العمال ولا يهتم كثيراً بأرباب العمل المعوّل عليهم النهوض بالاقتصاد وخاصة بعد الأزمات . ولابد من إيجاد قانون عمل للطوارئ، فقانون العمل الذي يسري في الحالات الطبيعية لا يناسب بيئة الكوارث لأنها حالات طارئة .
- انعدام البرامج التعليمية والمهنية المتعلقة بإدارة الكوارث وإدارة البلديات .

إن أخطر ما في الهجرة الخارجية هو هجرة الموارد البشرية القادرة على العمل وخاصة هجرة الخبرات KNOW_HOW .

ثانيا – الحلول:

بناء جسور الثقة مع المجتمع المحلي

الاستعانة بموارد المجتمع المحلي حيث التبرعات: زكاة – صدقات. وهذا حصل عام ٢٠١٦ عندما جمعت الأمم المتحدة زكاة الأموال لمساعدة السوريين.

Since 2016, we have collected and distributed 2.6 million US Dollars in Zakat funds, making it possible to help 14,000 refugee families living in extreme poverty in Jordan.

This year, you will be able to send your Zakat to refugees in both Jordan and Lebanon through the new global UNHCR Zakat platform: zakat.unhcr.org.

- إنشاء معامل تدوير النفايات العمرانية.
- إعادة الإعمار.
- إعادة توطين الصناعات في المناطق المنكوبة.
- اطلاق مشروع مشترك بين البلدية ونقابة المهندسين والجمعيات الأهلية وخاصة الجمعيات التي حظيت بثقة الناس لإعادة الترميم بأسس علمية ومهنية.

بناء جسور الثقة مع المجتمع الإسلامي

الاستعانة بموارد البنك الإسلامي للتنمية والذي يقيم الشراكات مع الدول الأعضاء وسورية عضو مؤسس يدير حصتها وزير ماليتها. خاصة بعد استعادة سورية لعضويتها في جامعة الدول العربية.

بناء جسور الثقة مع المجتمع الدولي

الاستعانة بموارد البنك الدولي: الصندوق العالمي للحد من الكوارث والتعافي من آثارها GFDRR.

الاستثمار الأفضل هو في الموارد البشرية:

إن أفضل استثمار هو الاستثمار في الموارد البشرية، فرأس المال البشري يُعدُّ الجزء الأهم في بناء الأمم.

لقد خسرنا كثيرا من مواردنا الخبيرة والقادرة على العمل، ونحتاج لجيلين لتعويض ذلك، وأوروبا العجوز استقطبت مواردنا البشرية لتعيد الحياة والنشاط لنفسها بعدما توقف تكاثرها البشري، بينما أمتنا الولادة تُنجب وتُعلّم، وغيرنا يوظف ويستثمر.

الإفصاح والشفافية شرط لكسب الولاء:

إن الجزء الأهم في كسب ولاء المجتمعات المحلية والإقليمية والعالمية هو تطبيق: مبدأ الإفصاح والشفافية، الذي هو عماد عمل المؤسسات المالية ومنظمات الشفافية ومنظمات محاربة الفساد في العالم.

لقد استطعنا بالتعاون مع جمعية الأمل جمع تبرعات وزكوات لتغطية مخاطر استيعاب صدمة الزلزال خلال فترة وجيزة جدا بنشر أعمالنا يوميا للمجتمع المحلي وبيان مصارف الأموال.

واليوم يسعى مشروع تمكين لاستيعاب تشغيل اليد العاملة قبل تمكّن البطالة منها ووقوعها في براثن الفقر لتجنيبها أن تكون فريسة للجرائم الاجتماعية.

للمزيد وللاطلاع على مقالاتنا ذات العلاقة:

- إدارة اقتصاد الجوائح: هو إدارة مشروعات وإدارة أزمات في آن واحد – الزلازل أنموذجا: رابط.
- الإنفاق خلال الأزمات: رابط.
- تطبيقات التمويل الإسلامي للتعافي بشكل أفضل: رابط.
- فهم الاقتصاد الإسلامي وتفسيره للتغيرات الحاصلة هذه الأيام: رابط.
- الحرب على الدراية التقنية KNOW–HOW ونماذجها: رابط.